الأحابيش في مكة

دراسة في تحالفاتهم مع قريش في عصر الرسالة

د .فتحي احمد محمود(*)

مقدمة

موضوع الاحابيش في مكة من المواضيع المهمة في تاريخ العرب، حيث دارت حوله الآراء التي طرحها بعض المستشرقين وخاصة المستشرق (لامانس) الذي كان في طرحه مخالفا لواقع الموضوع ومخالف لكل المصادر العربية التي تناولت هذا الموضوع والتي تكاد تجمع جميعها على انهم عبارة عن قبائل عربية كانت تسكن خارج مكة كونوا حلفا فيما بينهم وتحبشوا (تجمعوا) على التناصر فيما بينهم ومن ثم تحالفوا مع قريش لما تتمتع به قريش من مكانه بين العرب على المستوى السياسي والديني والاقتصادي لوجود الكعبة (بيت الله) في مكة ولما أوجده أهل مكة من إيلاف مع كل القبائل العربية والدول المجاورة حتى أضحوا سادة العرب. وكان لامانس يعارض ما ذكره ابن هشام عنهم وما ذكره الواقدي والطبري وبقية المصادر التي تجمع على انهم كانوا قبائل عربية وكان لهم سيد وزعيم يمثلهم وانهم لعبوا دورا كبيرا في حياة العرب قبل الإسلام وفي عصر الرسالة المحمدية.

(*) قسم التاريخ ـ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

لهذا انتقده معظم المستشرقين في راية هذا ومن ضمنهم المستشرق واط الذي ذكرهم في ملحق بكتابه محمد في مكة.

معنى كلمة الاحابيش

الحبش جنس من السودان وهم الاحبش والحبشان مثل: حمل وحملان[1]. وزاد الزبيدي على ما ذكر أعلاه بقوله: والحباشة (كتمامة: الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة كالهباشة والجمع حباشات والجمع الاحابيش، وحباشة سوق تهامة القديمة وسوق لبني قينقاع في الجاهلية[2].

والاحبش بضم الباء جنس من السودان حبشان واحابيش والحبشة بلاد الحبشان والحَبشان بالضم (ضرب من الجراد، والحبش جبل شرقي سميراء وجبل ببلاد بني أسد وحبشي بالضم جبل بأسفل مكة ومنه احابيش قريش لأنهم تحالفوا بالله انهم ليد على غيرهم)[3].

وذكر الزمخشري: ان حبش من اجتماع قريش والاحابيش فرق مجتمعة من قبائل شتى، حلفاء لقريش، تحالفوا عند جبل يسمى حبيشا قال العجاج:

كأن صيران المها الأخلاط بالرمل احبوش من الأنباط

وقال بن مالك:

وجئنا إلى موج من البحر وسفه احابيش منهم حاسر ومقنع[4]

وحبش: اسم واد وحبيش: جبل بمكة، به سميت الاحابيش حلفاء قريش لأنهم تحالفوا تحته لا ينقضون ما أقام حبيش[5].

---

(١) ابن منظور لسان المحيط ١٦٦/٨.

(٢) تاج العروس ١٢٠/١٧-١٢١.

(٣) القاموس المحيط ٢٧٧/٢.

(٤) أساس البلاغة ص١١٠، انظر سيد الناس، عيون الاثر ٢٥/٢.

(٥) البكري: معجم ما استعجم ٤٢٢/٢.

والاحابيش هم: (بنو المصطلق) و(الحيا بن سعد بن عمور) و (بنو الهون بن خزيمة) اجتمعوا بذنب (حبشي) وهو جبل بأسفل مكة ـ وتحالفوا بالله: انا ليد على غيرنا ما سجى ليل، ووضح نهار، ومارسا(حبشي) مكانه فسموا: احابيش باسم الجبل، وقال حماد الراوية: سموا احابيش لاجتماعهم والتجمع في كلام العرب هو (التحبش)[٦] وقيل هم الجماعة ايا كانوا لأنهم تجمعوا، والاحابيش احياء من القارة انضموا إلى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام فقال إبليس لقريش: انا جار لكم من بني ليث فواقعوا أو قاسموا بذلك[٧]. فلما سميت تلك الأحياء بالاحابيش من قبل تجمعها صار التحبش في كلام العرب كالتجميع.... ومنه حديث عبد الرحمن بن أبي بكر انه مات بالحبشي موضع قريب من مكة وقبل جبل بأسفل مكة[٨].

واحتبشت المرأة بولدها إذا جاءت به حبشي اللون وناقة حبشية شديدة السواد والحبشية ضرب من النمل الأسود العظام، وروضة حبشية خضراء تضرب إلى السواد قال امريء القيس:

ويأكلن بهمن جعدة حبشية ويشربن برد الماء في السبرات

وتحبشوا عليه اجتمعوا ... والحبشي ضرب من العنب والحبش ضرب من الشعير سنبلة حرفان ومن أسماء العقاب الحباشية والنسارية[٩].

---

(٦) ابن قتيبة: المعارف ص٦١٦.

(٧)ابن منظور لسان المحيط ١٦٦/٨، انظر جواد علي، المفضل ٣٠/٤ وما بعدها.

(٨) المصدر نفسه والصفحة.

(٩) ابن منظور لسان المحيط ١٦٦/٨.

ويذكر ياقوت في مادة الحبش مناطق عديدة فيها اسم حبش منها: حبش: بالتحريك والشين معجمة، درب الحبش بالبصرة في خطة هديل نسبة إلى حبش أسكنهم عمر (رضي الله عنه) بالبصرة. وقصر حبش موضع قرب تكريت فيه مزارع، مشربها من الاسحاقي، وبركة الحبشي: مزرعة نزهة في ظهر القرافة بمصر، حبشي بالضم ثم السكون، والشين معجمة والياء مشددة جبل بأسفل مكة بنعمان الاراك يقال: به سميت احابيش قريش تحالفوا معها على النصرة عنده فسموا باسم احابيش قريش باسم الجبل وهو على ستة أميال من مكة[١٠].

وذكر الازرقي ان الاحابيش يومئذ تحالفوا مع بني بكر ضد قريش على جبل يقال له (الحبشي) فسموا الاحابيش بذلك[١١].

قال ابن اسحق ان الاحابيش هم بنوا الحارث بن عبد مناة بن كنانة تحالفوا جميعا بواد يقال له الاحبش بأسفل مكة فسموا الاحابيش[١٢].

والاحابيش من بني الحارث عبد مناة بن كنانة ومنهم الديل، وبنو لحيان من خزاعة والقارة، وعضل من خزاعة وكان الحليس بن يزيد سيدهم[١٣].

من ذلك نرى ان الاحابيش كانوا بطونا من القبائل العربية الضاربة حول مكة، من كنانة وخزيمة وخزاعة، تجمعوا وتحالفوا معا، وكونوا قبيلة عربية بواسطة الحلف[١٤].

---

(١٠) ياقوت: معجم البلدان ٢/٢١٣-٢١٤، انظر قتيبة، المعارف ص٦١٦.

(١١) أخبار مكة ١/١١٥، انظر ابن دريد: الاشتقاق ١/١٩٣.

(١٢) ابن هشام: السيرة ٢/١١ وما بعدها.

(١٣) ابن قتيبة: المعارف ٦١٦، انظر: ابن حبيب، المحبرص ٣٢٠، الاغاني ٢٢/٦٦.

(١٤) إبراهيم محمد علي: التحالفات القبلية.. ص٢١٠ رسالة دكتوراه كلية الآداب/جامعة الموصل على الآلة الكاتبة.

وكان الاحابيش في حياتهم العادية يعيشون قريبا من مكة حلفاء لقريش وكانوا يستخدمون في حراسة القوافل المكية[١٥].

وذكر ابن عبد ربه: ان من بني كنانة الاحابيش، مبذول وعوف واحمر وعون، وهم بنو الحارث بن عبد مناة، ومنهم الخليس بن عمرو بن الحارث وهو رئيس الاحابيش يوم أحد ومنهم أبو الطفيل عامر بن واثلة، وواثلة بن الاسقع، كانت له صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم[١٦].

وكنانة بن خزيمة بن مدركة، منهم: قريش وهم بنو النضر بن كنانة ومنهم بكر بن عبد مناة، وجندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة، ومنهم: نضر بن سيار صاحب خراسان ومنهم أبو ذر الغفاري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الذي تصور إبليس في صورته يوم بدر وقال لقريش: إني جار لكم وبنو مالك من كنانة[١٧].

وفيهم يقول علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لأهل الكوفة: وددت والله لو ان لي بمائة ألف منكم ثلاثمائة من بني فراس بن غنم بن ثعلبة وبنو الحارث بن مالك بن كنانة، ومنهم القلمس، وهو أبو ثمامة الذي كان ينسئ الشهور حتى انزل فيه (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ)، ومنهم البراض بن قيس الذي يقال فيه: اقتلك من البراض وعمارة بن مخشني الذي عاقد النبي صلى الله عليه وسلم على بني ضمره[١٨].

(١٥) اكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٧٧/١، المدينة المنورة ١٩٩٣، ط٤، مكتبة العلوم والحكم.

(١٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣٤٠/٣.

(١٧) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣٣٩/٣ وما بعدها.

(١٨) المصدر نفسه والصفحة.

رأي المستشرقين في الاحابيش

هناك اختلاف واتفاق في هذا الموضوع بين المستشرقين فبعضهم يؤيد ما ذكر عنهم في المصادر العربية من انهم قبائل عربية ومنهم من يرى غير ذلك وخاصة (لامانس)، في نقله كلام لامانس في مجلة المشرق ١٩٣٦ تحت عنوان (الاحابيش والنظام العسكري في مكة) من ان: الاحابيش – أحلاف قريش – ينتمون إلى الشعب الأثيوبي أو على الأقل من الأفارقة عامة الذين نزلوا في تلك الآونة بأرض الحجاز[١٩]، ويوري في كتابه هذا يرى رأي هنري لامانس، بالرغم من انه يشير إلى ان عددا من كبار الخبراء في تاريخ الجزيرة العربية لا يقبلون هذا الرأي ويرون في الاحابيش حلفا من قبائل عربية صغرى نزلت آنذاك بظاهر مكة وارتبطت بقريش ومن هؤلاء المستشرقون واط وهرمان فون في الانسكلو بيديا الإسلامية والعلامة محمد حميد الله في مكة[٢٠].

وهذا واط يذكر ان المصادر لا تؤيد وجهة النظر التي عرضها لامنس في مقالته السابعة، إذ يرى لامنس ان المكيين المعارضين لمحمد كانوا قد فقدوا فضائلهم الحربية، وانهم العبيد السود، يضاف إليهم نواة من البدو غير النظاميين لم يكونا سوى قطاع طرق[٢١].

---

(١٩) يوري يخايلوفتش كوبشيانوف: الشمال الشرقي الافلايقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقته بالجزيرة العربية (من ق٦-الأمور منتصف ق٧)، ص٢٤٨، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات الجامعة الاردنية ١٩٨٨.

(٢٠) المرجع السابق، انظر احمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص١٤٥ وما بعدها.

(٢١) واط: محمد في مكة، تعريب شعبان بركات، بيروت، ص٢٤٢.

ويضيف واط ان لامانس يتجاوز الأدلة كثيرا في معالجة المصادر ويتعامل معها ليست بطريقة غير علمية، فهو يرفض هذا الرأي ويقبل الآخر، حسب أفكاره الخاصة ومعتقداته، دون ان يعبا بالموضوعية[٢٢]. ففي الجملة (الاحابيش وعبيد أهل مكة) نجد ان (الواو) تفسيره تشير إلى ان الاحابيش من ضمن العبيد، بينما نجد في الجملة: (الاحابيش ومن أطاعهم (أي القرشيين) من قبائل كنانة وأهل تهامة، ان (الواو) تدل على تمييز تام. ولكن لماذا بفعل لامنس ذلك؟ يبدو انه يسعى لتأكيد النظرية التي يحاول التدليل عليها[٢٣] وبأي ثمن.

ويرد الشريف علي لامنس في ادعائه ان الاحابيش جنودا مرتزقة عند أهل مكة، ويبين انهم كانوا حلفاء قريش على أساس التكافؤ ويشير إلى ان رواة السيرة تعمدوا القول بأنهم عرب، أنفة من ان يقولوا أن قريشا كانت في الجاهلية تستعين بالسودان في الدفاع عن حريتها وهو قول مردود، فهم بطونا من القبائل العربية الضارية حول مكة من كنانة وخزيمة بن مدركة وخزاعة تجمعوا وتحالفوا معا، واخذوا في الاندماج والتكتل في طريقهم إلى تكوين قبيلة عربية، بواسطة الحلف الذي كان بينهم وظلوا طوال عصر النبوة قوة عربية لها كل خصائص القبيلة من سيد وارض تنزلها ورايه تحف بها عند الحرب وكانت حليفة لقريش الند للند ومسموعة الكلمة في الشؤون العامة لقريش وكان لقوتهم اثر كبير في الحروب بين مكة والرسول صلى الله عليه وسلم[٢٤].

ويناقش إبراهيم محمد علي[٢٥] في رسالته الدكتوراه بالإضافة لامانس كما

---

(٢٢) المرجع نفسه ص٢٤٢-٢٤٣.

(٢٣) المرجع السابق والصفحة.

(٢٤) الشريف: مكة والمدينة، ص١٤٤-١٤٥.

(٢٥) إبراهيم محمد علي: التحالفات القبلية العربية..، ص٢١٠-وما بعدها.

عرضه (اوليري)(*) ويذكر ان نظرية لامانس غير مقنعة للأسباب التالية:

١. اعتماده على المعنى الحرفي وأهمل المعنى المكاني.

٢. لا توجد أي رواية عربية في كل المصادر تشير بأنهم من غير القبائل العربية.

٣. وان العبيد الموجودين في مكة من اصل غير عربي لا يتجاوز عددهم (١١) عبدا.

ويعلق جواد علي على رأي لامانس فيذكر ان الرأي الآنف الذكر بحث من قبل مستشرقين آخرين فمنهم من أيده، ومنهم من توسط في راية ومنهم من أيد الرواية العربية... ويذكر انه عنده رأي آخر قد يفسر لنا سبب تسمية (بني الحارث بن عبد مناة) من (الكنانة) ومن أيدها من (بني المصطلق) و (بني الهون) بالاحابيش هو انهم خضعوا لحكم الحبش قبل الإسلام بزمن طويل ... حيث كانت منازل كنانة منطقة تهامة القريبة إلى الأثير محاذية للبحر الأحمر غرب شبه الجزيرة العربية – فيجوز ان لفظة (الاحابيش) لحقت بكنانة من خضوعهم للحبش حتى صارت لقبا لهم أو علما لكنانة ومن حالفها أو تزوج قسم منهم من نساء حبشيات حتى ظهرت السمرة عليهم ... لهذا فليس من اللازم اذن ان يكون (الاحابيش) هم كلهم من حبش أفريقيا بل كانوا عربا وقوما من العبيد والمرتزقة ممن امتلكهم أهل مكة(٢٦).

واعتقد ان جواد علي اعتمد في راية هذا على ما ذكره الطبري بما يخص كنانة ومنطقة سكناها في أخبار غزوة أحد بقوله: (وخرجت قريش بحدها وجدها واحابيشها ومن معها من بني كنانة وأهل تهامة، وخرجوا معهم بالضعف النماس الحفيضة)(٢٧).

(*) O'leary; Arabia before Muhammad, p. 184-185.

Look, Watt. Ahabish, Enc – of Islam, VOL III, p. 7-8.

(٢٦) جواد علي/المفصل ٣٢/٤ وما بعدها.

(٢٧) الطبري: تاريخ الرسل ٥٠١/٢.

فيفهم من النص كأن الاحابيش هم ليسوا من كنانة وانما كانوا متحالفين معها أو ساكنين بنفس المنطقة وكان أهل تهامة أيضا لهم صفة خاصة تميزهم عن الاحابيش وكنانة.

أما واط[٢٨]: في ملحقه عن الاحابيش في (كتابه محمد في مكة) فيرد على لامانس ويصف طريقته بالعابثة في معالجة المصادر التي تكلمت عنهم عند ابن هشام والواقدي والطبري، وابن سعد، وكيف ان ابن الدغنة عند رحيل أبي بكر عن مكة طلب حمايته واجارته كما ورد عند ابن هشام، وان ابن الدغنة من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وكان حينئذ سيد الاحابيش... وذكر الواقدي ان إحدى الرايات الثلاث كانت عند الاحابيش يحملها أحد رجالاتهم في أحد[٢٩].

وإذا قرأنا ملحق واط الخاص بالاحابيش هذا نستخلص وجهة نظر عامة قائمة على المصادر وهي وجهة نظر تختلف عن وجهة نظر لامانس ونرى فيها:

١. لا شيء يسمح بالقول ان الاحابيش ليسوا عربا. ويبدوا انهم كانوا منظمين ضمن قبيلة وان كلمة (سيد) هي اللقب المستعمل لتسمية زعيم القبيلة[٣٠].

وكان من بين هؤلاء شخصيات لها مكانتها في مكة كالاخنس بن شريق الذي طلب محمد صلى الله عليه وسلم حمايته، وكذلك تشير أعمال ابن الدغنة إلى انه كان يتمتع بمكانه خاصة في مكة.

---

(٢٨) واط: محمد في مكة، ص٢٤٥ وما بعدها.

(٢٩) المرجع نفسه، ص٢٤٣ وما بعدها: انظر الواقدي: المغازي/٢٠٣.

Look: Watt, Ahabish, Ency ... Of Islam, VOL III. p. 7-8.

(٣٠) واط: محمد في مكة، ص٢٤٥ وما بعدها.

٢. يجب ان لا نخلط بين الأحباش من العبيد والاحابيش في مكة حيث كان العبيد يعيشون في مكة عند أسيادهم وهم قلة بينما كان الاحابيش يعيشون على مسيرة يومين من مكة (قريش الظواهر)[٣١].

حلف الاحابيش مع عبد مناف بن قصي

حلف الاحابيش مع زعماء مكة قديم جدا، فكما معروف ان أهل مكة (قريش البطاح) كانوا يتزعمون القبائل العربية في شمال شبه الجزيرة العربية، وبما ان الاحابيش الذين هم مجموعة من القبائل العربية كانت تقطن من أطراف مكة إلى جانب (قريش الظواهر) لابد وان تكون مصالحهم واحدة، ومن ثم التحالف ضروري لحماية مكة التي تتميز بمكانتها الاقتصادية والدينية والسياسية.

ذكر اليعقوبي[٣٢]: ان حلف الاحابيش كان قد عقد مع بني عبد مناف بن قصي مما يدل على قدمه فيقول: لما مات قصي، ودفن بالحجون بعد ان راس عبد مناف وجل قدره وعظم شرفه، ولما كبر أمر عبد مناف جاءته خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة يسألونه الحلف ليعزوا به، فعقد بينهم الحلف الذي يقاتل له (حلف الاحابيش)، وكان سيد بني كنانة الذي سال عبد مناف عقد الحلف: عمرو بن هلل بن معيص بن عامر.

وكان تحالف الاحابيش على الركن يقوم رجل من قريش وآخر من الاحابيش فيضعان ايديهما على الركن فيحلفان بالله القاتل، وحرمة هذا البيت، والمقام والركن والشهر الحرام على النصر على الخلق جميعا، حتى يرث الله الأرض ومن عليها،

(٣١) تاريخ اليعقوبي ٢٤١/١.

(٣٢) المصدر نفسه والصفحة.

وعلى التعاقد والتعاون على كل من كادهم من الناس جميعا مابل بحر صوفه ... وما طلعت شمس من مشرقها إلى يوم القيامة فسمي حلف الاحابيش[٣٣].

ويرى الأصفهاني[٣٤] ان بنوا هاشم وبنو المطلب وأسد وتميم تداعوا واتفقوا على ان لا يدعوا بمكة كلها ولا في الاحابيش مظلوما يدعوهم إلى نصرته إلا انجدوه حتى يردوا إليه مظلمته أو يبلوا في ذلك عذرا.

ويرجع البعض هذا الحلف إلى زمن قصي بن كلاب، حينما جمع قريشا وحالف كنانة لحرب خزاعة واضطرت قريش إلى القتال إلى جانب كنانة ضد قيس وهوازن في حرب الفجار استجابة لهذا الحلف وأثبتت هذه الحرب مقدار تماسك قريش واتحاد بطونها ورجالها[٣٥].

وقال الحارث بن هشام بن المغيرة للاحابيش حلفاء قريش يحرضهم على القتال[٣٦]:

إلا من مبلغ الليلين عني	مواليها ودورهم المجالي
تعرض دوننا ظلما قمير	الينا والخصوم إلى انفصال
وتطمع بالصلاح بنو قمير	ولم تفزع بجيش أو جلال
ويجري بيننا كردوس خيل	بحمل البيض والاسل النهال
ويضرع بيننا قتلى كرام	تقصد فيهم حطم العوالي

الاحابيش وحرب الفجار

نتيجة للحلف بين قريش والاحابيش يترتب على الطرفين نصرة الطرف

(٣٣) الأشهر: الاغاني ٢١٦/١٧، تحقيق عبد الستار فراج، بيروت ١٩٥٩.

(٣٤) احمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة.. ص١٤٦.

(٣٥) ابن حبيب: المنمق، ص٢٣٠، واط، الهند.

(٣٦) المصدر نفسه، ص١٨٩-٢٠٠.

الآخر، ففي حرب الفجار ذكر ابن حبيب[٣٧]: ان قريش وكنانة جمعت الاحابيش كلها ومن لحق بها من أسد بن خزيمة مع مهير ... فكانوا يطمعون في دورهم الاحابيش ومن ضوى اليهم لنصرهم.

وذكر ابن الأثير[٣٨]: أسباب هذه الحرب والإجراءات التي اتخذها الطرفان لمعالجة هذه الأمور ان: البراض بن قيس قتل عروة الرحال الذي كان امينا على لطائم النعمان في الحيرة – وكان ذلك قد حدث في الأشهر الحرم فسميت بحرب الفجار – فلما علمت قريش وقيس بالخبر أرادوا ان يضعوا حدا لمثل هذه التصرفات التي تهدد الأمن في مكة.

فلما وصل الخبر إلى حرب بن امية بعث إلى عبد الله بن جدعان التيمي والى هشام بن المغيرة المخزومي والى كل اشراف مكة وقبائلها والى الحليس بن يزيد الحارثي وهو سيد الاحابيش، فاخبرهم فتشاوروا وقالوا: نخشى من قيس ان يطلبوا ثأر صاحبهم منا فهم لا يرضون ان يقتلوا به خليعا من بني ضمره[٣٩].

وكان على الاحابيش الحليس بن يزيد وسفيان بن عويف قائدهم وهم من بنو الحارث بن عبد مناة كنانة وعضل والقارة والديش من بني الهون بن خزيمة والمصطلق بن خزامة[٤٠].

والظاهر ان الطرق السلمية لحل هذه القضية قد فشلت فوقعت الحرب واشترك الاحابيش فيها، وذكر الأصفهاني: ان الحليس بن يزيد وهو أحد بني الحارث وهو رئيس الاحابيش يومئذ خرج فدعا إلى المبارزة فبرز إليه الحدثان بن

(٣٧) ابن إلا: الكامل ٥٩٢/١ وما بعدها.

(٣٨) المصدر نفسه، ٥٩٢/١ وما بعدها.

(٣٩) المصدر نفسه.

(٤٠) الأشهر: الاغانيُ ٦٧/٢٢.

سعد النصري فطعنه الحدثان، فدق عضده وتحاجزا واقتتل القوم قتالا شديدا، وحملت وكنانة وحملت قريش كنانة على قيس من كل وجه فانهزمت قيس كلها إلى بني نصر فانهم صبروا[٤١].

وكان الاحابيش من ضمن قريش الظواهر الذين كانوا يفخرون على أهل الحرم بظهورهم للعدو واصحارهم للناس هذا بالإضافة إلى الأحلاف التي تشكلت مع أهل مكة مع هذه القبائل البدوية خاصة كنانة والذين كانوا يشاركون المكيين في معظم حروبهم ويسمون الاحابيش[٤٢].

موقف الاحابيش من المسلمين في بداية الدعوة

على الرغم من التحالف بين قريش والاحابيش إلا انهم كان لهم رأي مسموع لدى الملأ من قريش نتيجة للحلف والمصالح المشتركة فيما بينهم، وموقف سيد الاحابيش خير دليل على ذلك ذكر ابن هشام[٤٣]: ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها حين ضاقت عليه مكة واصابه فيها الاذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فاذن له، فخرج أبو بكر مهاجرا حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة، أخو بني الحارث بن عبدمناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الاحابيش ... فقال ابن الدغنة: أين أبا بكر قال أخرجني قومي واذوني وضيقوا علي، قال: ولم؟ فوالله انك لتزين العشيرة، وتعين على

(٤١) أحمد صالح العلي: محاضرات تاريخ العرب قبل الإسلام، ص١٠٨.

(٤٢) ابن هشام: السيرة ١١/٢ وما بعدها.

(٤٣) ابن هشام: السيرة ١١/٢ وما بعدها.

النوائب، وتفعل المعروف، وتكسب المعدوم، ارجع فأنت في جواري فرجع معه، حتى إذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش اني أجرت ابن أبي قحافة، فلا يعرض له أحد إلا بخير قلت: فكفوا عنه[٤٤].

وللبخاري رواية أخرى جاء فيها: لما بلغ أبو بكر مهاجرا قبل الحبشة برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القاره (من ضمن جمع الاحابيش)... فأجاره للأسباب التي ذكرناها أعلاه في رواية ابن هشام – فأجاره وقال له أنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلادك فطاف في اشراف كفار قريش قائلا لهم ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وامنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره حتى لا يؤذينا فنخشى ان يفتن أبناءنا ونساءنا[٤٥].

وعن عائشة: انه كان لابي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح يصلي فيه فكان رجلا رقيقا، إذا قرأ القران استبكى وقالت: فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته قالت: فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة فقالوا له: انك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا انه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكي وكانت له هيئة فنحن نتخوف على صبياننا ونساءنا وخفنا ان يفتنهم فمره ان يدخل بيته فليصنع ما شاء فيهن فمشى إليه ابن الدغنة فقال يا أبا بكر اني لم أجرك لتؤذي قومك انهم قد كرهوا مكانك الذي أنت فيه، وتأذوا بذلك منك فادخل بيتك فاصنع ما أحببت، قال أو أرد عليك جوارك وأرضي بجوار ربي؟ قال: فاردد علي جواري قال: قد رددته عليك قالت: فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، ان

(٤٤) البخاري: صحيح البخاري ٣٩/٢، بغداد ١٩٨٦.

(٤٥) ابن هشام: السيرة ١٣/٢.

ابن أبي قحافة قد رد علي جواري فشانكم بصاحبكم[٤٦].

موقف الاحابيش من غزوة بدر

يبدو ان الاحابيش لم يكن لهم دور يذكر أو مشاركة في معركة بدر إما لان معركة بدر كانت سريعة حتى ان قريش لم تخرج كلها كما ان أبا سفيان طلب منهم ان يرجعوا وانه خلص القافلة مما حدى بالاحابيش ان لا يكون هناك مبرر للحرب أو لأنهم لم يشاركوا في القافلة التجارية أو انهم كانوا على غير وفاق في تلك الفترة وان العلاقات بين الطرفين كانت غير طبيعية، وهذا واضح فيما ذكره الواقدي بقوله: انه في غزوة بدر كانت قريش وبني بكر أحد أطراف التحالف من الاحابيش كانت على عداوة مع قريش حتى إن الأخيرة كانت تخافهم حين مسيرهم إلى بدر – وقد يكون بقية القبائل من الاحابيش قد تعاطفت مع بكر – ويؤكد الواقدي على ذلك، بقوله: فلما أجمعت قريش المسير إلى المسلمين ذكروا الذي بينهم وبين بني بكر من العداوة وخافوهم على من تخلف، وكان أشدهم خوفا عتبة بن ربيعة وقال: إنا لا نأمن على من تخلف من النساء والذرية، فتصور لهم إبليس في صورة سراقة بن جعشم المدلجي فقال:.يا معشر قريش، قد عرفتم شرفي ومكاني في قومي أنا لكم جار ان تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه فطابت نفس عتبة، وكان بينهم رجال قتلوا من الطرفين حيث قتل مكرز بن حفص سيد بني بكر عامر بن يزيد بأخيه فكانت بنو بكر معده لقتل رجلين من قريش سيدين أو ثلاثة من ساداتها[٤٧].

وذكر ابن سيد الناس انه كانت بين كنانة وقريش حرب يقول: لما فزعوا من

(٤٦) الواقدي: المغازي ٣٧/١ وما بعدها، تحقيق مارسن جونس، طبعة اكسفورد ١٩٦٦.

(٤٧) عيون الاثر. ٢٤٥/١.

جهازهم واجمعوا المسير ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة من كنانه من الحرب فقالوا: أنا نخشى ان يأتونا من خلفنا فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة – كما ذكرنا – فخرجوا سراعا.

المهم ان الاحابيش لم يشتركوا في بدر مهما كان السبب ويوعز بوري ان سبب خسارة قريش الفادحة في بدر يرجع إلى ان قريش لم يرسلوا لحراسة القافلة جيش (الاحابيش) حملة الحراب(٤٨).

الاحابيش في معركة أحد

يبدو ان الخلاف بين الاحابيش وقريش والذي منعهم من المشاركة في بدر قد سوى وهذا واضح من مشاركتهم في أحد للحلف الذي بين الطرفين.

ذكر ابن هشام ان قريش اجتمعت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان ابن حرب، وأصحاب العير باحباشها ومن أطاعها من قبائل كنانة حيث خرجت قريش بحدها وجدها وحديدها واحابيشها ومن تابعها من كنانة، وأهل تهامة(٤٩).

ويؤكد الواقدي على ما ذكر بقوله: ان قريش لما اجتمعت على المسير قالوا: نسير في العرب فنستنصرهم فان عبد مناة غير متخلفين عنا، هم أوصل العرب لأرحامنا ومن اتبعنا من الاحابيش(٥٠). وكان للاحابيش لواء يحمله رجل منهم وقيل كانت قوات قريش ولفها في لواء واحد(٥١). وخرج مع قريش بالظعن التماس

(٤٨) بوري يخايلوفتش: الشمال الشرقي الأفريقي وعلاقته بالجزيرة العربية، ص ٣٢٠.

(٤٩) ابن هشام: السيرة، ٦٥/٣-٦٦، انظر الطبري: تاريخ الرسل ٥٠٠/٢-٥٠١، ابن سيد الناس: عيون الاثر ٢/٢.

(٥٠) الواقدي: المغازي ٢٠٠/١.

(٥١) المصدر نفسه: ٢٠٣/١ وما بعدها.

الحفيظة، لئلا يفرو[٥٢].

وهذه النصوص تعتبر ردود على لامانس في اصل الاحابيش وغيره من المشككين.

ومن هذا نرى ان للاحابيش سادة يديرون أمورهم، منهم (ابن الدغنة) وهو ربيعة بن رفيع بن حيان بن ثعلبة السلمي الذي أجار أبا بكر وشهد معركة حنين، ومنهم (الحليس بن يزيد) وحليس بن علقمة الحارثي، سيدهم يوم أحد، (والحليس بن زيان) رئيسهم وسيدهم في أحد، وقد مر بابي سفيان وهو يضرب في شدق (حمزة) يزج الرمح فلامه وانبه[٥٣].

الاحابيش في غزوة الخندق

لم يكن في مكة جيش نظامي ثابت وتتألف قواتها من رجال القبيلة أنفسهم ومن ينظم اليهم من رجال القبائل الأخرى التي ترتبط معهم برباط الحلف، فهي مدينة تجارية وأهلها يميلون إلى استخدام السلم وترك العنف وحل مشاكلهم سلميا لسلامة تجارتها... وبالرغم من ذلك كان رجال قريش ذوو شجاعة فائقة وقاتلوا ببسالة إذا اضطرتهم الظروف إلى ذلك قبل الإسلام أو في الإسلام، وكانوا أو إلى ذلك يدفعون اتاوات للقبائل وكان باستطاعة أهل مكة ان يستأجروا المحاربين للدفاع عنهم[٥٤].

وفي غزوة الخندق التي حشد قوتها اليهود ضد الإسلام البت قريش من جانبها احابيشهم ومن تبعهم للخروج معهم وخرجت قريش ومن تبعها من احابيشها

(٥٢) الطبري: تاريخ الرسل ٢/٥٠٠-٥٠١.

(٥٣) جواد علي: المفصل ٤/٣٣-٣٤.

(٥٤) احمد الشريف: مكة والمدينة ص١٤٣-١٤٤.

أربعة آلاف ونزلت برومة (بين الجرف وزغابة) ووادي العقيق في احابيشها ومن ضوي إليها من العرب، وخرج في نفس الوقت ركب من خزاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه بمسير قريش إليه(٥٥).

وابن الأثير يحصي عدد قوات قريش بأكثر مما ذكره الواقدي فيقول: أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع من روحه بين الجرف وزغابه في عشرة آلاف من احابيشهم ومن تابعهم من كنانة وتهامة(٥٦).

الإحابيش في الحديبية

ما ان شعرت قريش بتأزم علاقاتها مع المسلمين حتى هبت إلى قوة الاحابيش فلما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم معتمرا أخذت قريش كل التدابير لمنعه ومنها الاستعداد العسكري هي وحلفائها.

ذكر الواقدي ان قريش كعادتها استنفرت من أطاعها من الاحابيش وكانوا يطعمون الجزر احابيشهم ومن ضوى اليهم في دورهم(٥٧).

وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قريش في الحديبية (خراش بن امية الخزاعي)، فأرادت قريش قتله لولا ان منعه الاحابيش(٥٨).

وفي المفاوضات التي جرت بين قريش والرسول صلى الله عليه وسلم أرسلت قريش (مكرز بن حفص) فأبى ان يكلمه الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(٥٥) الواقدي: المغازي ٤٤٢/٢ وما بعدها، ابن سيد الناس ٥٦/٢.

(٥٦) ابن إلا: الكامل ١٨٠/٢، أبناءنا الفداء: المختصر في أخبار البشر م١، ص٣٨، بيروت.

(٥٧) الواقدي: المغازي ٥٧٩/٢.

(٥٨) ابن هشام: السيرة ٣١٤/٢.

وقال: هذا رجل فاجر، فبعثوا إليه الحليس بن علقمة من بني الحارث بن عبد مناة وكان من قوم يتألهون، فلما رأى الهدي قد أكلت اوبارها رجع فقال: يا قريش اني قد رأيت ملا يحل صده عن البيت(٥٩).

وأضاف الواقدي: لما طلع الحليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من قوم يعظمون الهدي ويتألهون (التعبد والتنسك)، وابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فبعثوا الهدي فلما نظر إلى الهدي يسيل في الوادي عليه القلائد واستقبله القوم يلبسون، رجع ولم يصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى حتى رجع إلى قريش فقال: اني قد رأيت مالا يحل صده، رأيت الهدي في قلائده قد أكل اوباره... أما والله ما على هذا حالفناكم ولا عاقدناكم على ان تصدوا عن بيت الله من جاء معظما لحرمته والذي نفسي بيده لتخلن بينه وبين ما جاء به، أو لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد! قالوا: انما كل ما رأيت مكيدة من محمد وأصحابه، فاكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا بعض ما نرضى به(٦٠).

ويضيف جواد علي ان الحليس لما قص عليهم ما رأى، قالوا له: اجلس، فانما أنت رجل أعرابي لا علم لك فغضب عند ذلك وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم، ان تصدوا عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس الحليس بيده، لتحلن بين محمد وبين ما جاء أو لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد، فقالوا له: مه، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نوصي به(٦١).

---

(٥٩) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٥٤/٢، دار صادر، بيروت.

(٦٠)الواقدي: المغازي ٥٩٩/٢-٦٠٠، انظر مسند احمد ٣٣٠/٤، ابن هشام: السيرة ٣١٢/٢.

(٦١) جواد علي: المفصل ٣٣/٤-٣٤.

الاحابيش في فتح مكة

ساهم الاحابيش في الدفاع عن مكة عام الفتح وكانوا قد تجمعوا مع (بني بكر) و (بني الحارث بن عبد مناة) ومن كان من الاحابيش اسفل مكة كما أمرتهم قريش بذلك فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ان يسير عليهم فقاتلهم حتى هزموا ولم يكن بمكة قتال غير ذلك(٦٢).

وتبين من دراسة أخبارهم ان الاحابيش كانوا جماعة قائمة بذاتها في إدارة شؤونها يدير أمورها رؤساء منهم يعرف أحدهم (سيد الاحابيش) وكانوا يعيشوا عيشة إعرابية خارج مكة بدليل قول قريش للحليس يوم الحديبية: (اجلس، فانما أنت رجل أعرابي، لا علم لك)(٦٣).

ويرى عدد من المستشرقين ان الاحابيش عبارة عن حلف من القبائل عربية صغرى نزلت آنذاك بظاهر مكة وارتبطت بقريش ومن هؤلاء المستشرق (واط) كما ذكرنا.

وبقي الاحابيش في مكة إلى أيام الأمويين، فذكر ان (عبد الله المتكبر) وكان من اشراف قريش أيام معاوية ومن أغناها مالا وفد عليه وهو خليفة فكلمه في قريش.ووجوب الاعتماد عليهم ثم في (الاحابيش) ... فأخلصهم نفسك وقومك(٦٤).

---

(٦٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٦٣) المصدر نفسه.

(٦٤) المصدر نفسه ٣٢/٤.